قضايا الأدب والأدباء

نعي مجلة « الهلال »

بقلم فرانسوا باسيلي

« بعد ثمانين سنة في خدمة الادب العربي والكفاح من اجل القضايا العربية ، فجعت الاوساط الادبية في العالم العربي بوفاة مجلة « الهلال » وتشييع الجنازة شهريا من دار الهلال بالقاهرة . لا أراكم الله مكروها في عزيز لديكم » .

السطور السابقة هي ما يكتب تقليديا في صحفنا العربية في حالات النعي بصفحة الوفيات . واعلان نبأ وفاة مجلة الهلال بهذا الشكل ـ رغم انها في الواقع ما زالت تصدر شهريا عن دار الهلال وبرئاسة تحرير صالح جودت .. يجعل الموضوع يتخذ شكل الكوميديا السوداء . ورغم أن حدث وفاة مجلة الهلال لا يمكن ان يكون حدثا فكاهيا ، الا انه يحدث في الواقع باسلوب ينسجم تماما مع الاطار الهزلي العام الذي تتم وتحدث داخله الافعال والتصرفات والافكار في الحياة العربية الحالية فكل ما يحدث حولنا يدخل في طقس ، حفلة سمر من اجل ٥ حزيران». وهو طقس كاريكاتوري وتهريجي وفكاهي لا مكان فيه للجدية في الفكر او الفعل . وتصبح اية محاولة للجدية في حفلة السمر محاولة بائسة ومحزنة . فالاسلوب الهزلي ، اذن ، هو ابلغ اسلوب يعبر عن مناخ حفلة السمر القائمة حاليا ، في عرض مستمر ، فوق المسرح العربي . تبدو لي الكتابة بالاسلوب الجاد حاليا فعلا طائشا وشاذا ومتطرفا جدا. بل تصبح الجدية في الواقع نوعا من الفكاهة المفجعة التي يتميز بها مسرح اللامعقول .

ان الواقع العربي الحالي ، بكل ما يحدث فيه من احتفالات وتشكيلات مظهرية ، يتخذ ، تدريجيا ، شكل وحجم الخرافة . وبذلك فالطريقة الوحيدة لفهم منطق الاشياء التي تقع في الجزء العربي من العالم هي الدخول الى ذلك المنطق من بوابة الخرافة ، عندئذ فقط يصبح كل شيء متلائما مع كل شيء . وتصبح الافعال والاقوال مفهومة ومبررة .

مجلة « الهلال » هي اهم مجلة ذات طابع ادبي وثقافي تصدر في مصر بشكل واسع الانتشار ومنذ ثمانين عاما . كتب بها عبر هذا التاريخ اهم الكتاب والشعراء المصريين والعرب . وزن هائل من التاريخ الادبي يقف وراء مجلة الهلال ويمنحها مكانتها كواحدة من المجلات العربية النادرة ، تاريخا وحجما وكيفا .

موت « الهلال » الان ، بعد كل هذا التاريخ ، ليس موتا طبيعيا، وليس شيخوخة ليس لها دواء ، بل هو اغتيال سهل . اذ ان تسليم مجلة الهلال الى صالح جودت ، وموقعه من الادب الحديث والشعر الحديث معروف للجميع ، يساوي تماما لوي عنق « الهلال » الى الوراء وامرها بالسير الى الخلف والعودة من حيث جاءت . وهذا ما يحدث حاليا فعلا ، فقد بدات الهلال تسير نحو الاربعينات والثلاثينات والعشرينات من هذا القرن . واهم من يكتب بها حاليا من الشعراء هم ايليا ابو ماضي وعلي محمود طه وابراهيم ناجي !

نتكلم بتحديد اكثر . العدد الاخير ـ وقت كتابتي هذه ـ الذي صدر عن الهلال هو عدد ديسمبر ١٩٧٢ . وهو عدد خاص عن القمر. « القمر في الدين والعلم والادب والفن . وعلى غلافه صورة « سعاد حسني » باعتبارها قمرا . واول مقالاته كلمة للاستاذ جودت يقدم فيها العدد . وبجانبها صورته الشخصية . (لا اعرف ان كانت هناك اية مجلة عربية هامة اخرى ينشر فيها رئيس التحرير صورته بجانب مقاله الشهري . ربما ساعدني القراء) .

ذلك العدد الاخير من « الهلال » لا غبار عليه ولا بأس به لو كان قد صدر في زمنه الطبيعي . لكنه قد تأخر بالتأكيد عن موعد صدوره اربعين عاما كاملة . فصدر بعد ان مات معظم الشعراء الذين كتبوا فيه . وصدر بعد ان اصبح العالم العربي يهتم بشيء اخر غير القمر حاليا . وصدر بعد ان تغير الذوق الادبي والشعري الذي كان سائدا في زمن ذلك العدد . واصبح لدينا منذ ربع قرن شعر جديد وشعراء جدد لم يستطع ذلك العدد بالطبع ان ينشر لهم شيئا .

القضية بوضوح ان صالح جودت يكتب لنا من ثلاثينات هذا القرن . حيث يقف هناك ذوقه الادبي ومزاجه الفني . يكتب لنا من الماضي الحالم الجميل حيث كان علي محمود طه يتغنى بالقمر والليل والنيل وعرائس الاحلام . ومأساة جودت الخاصة انه لا يحب ولا يقدر ان يتصور اننا قد تركنا تلك الفترة منذ زمن . واننا نعيش الان في مشغوليات وهموم مختلفة تماما عن السهر لمناجاة القمر في المساء . واننا حتى لو فعلنا ذلك ، فاننا نفعله باسلوب وذوق جمالي مختلف كثيرا عن الاسلوب والذوق الجمالي الذي كان سائدا في الثلاثينات . ولا شك ان هذه الحقيقة يعاني صالح جودت من مواجهتها يوميا حوله وفي كل مكان يذهب اليه في الوطن العربي حيث يجد « الشعر الجديد » ـ الذي لا يعترف به للان ويعتبره شيئا طفيليا دخيلا على التراث العربي ـ هو الشكل الذي يكتبه الشعراء الشباب في كل مكان . وهذا بلا شك يسبب له عذابا حقيقيا وحزنا . لا بد ان يتحول لديه بالضرورة الى مأساة شخصية مستمرة . تدفع الانسان الى التعاطف معه كما يتعاطف مع كل الذين يصيبهم قانون التطور الطبيعي للحياة بعذابات خاصة ، يسببها وقوفهم في زمن معين يصبح ماضيا مهجورا عندما يتعداه الزمن التالي . لكن ذلك العذاب الخاص الذي لا بد لصالح جودت من مواجهته بمفرده ، كما يواجه كل انسان عذابه الخاص وحده ، يتحول الى عذاب عام وجماهيري عندما يصبح الجمهور الادبي في مصر وخارجها مطالبا بالعودة ، مع مجلة الهلال ، للاقامة في ذلك الزمن القديم الذي يحبه صالح جودت ويرفض رؤيته منتهيا

وميتا . انها بالتاكيد قضية ـ ومأساة ـ عامة ان تسلم « الهلال » جودت ، فبدلا من ان يعكس بها روح الادب الجديد الصاعد في مصر والوطن العربي ، (وهذه هي مسؤولية رئيس التحرير ، خاصة اذا كانت المجلة ليست ملكه الخاص بل هي ملك ـ ككل الصحافة في مصر ـ للشعب) ، نجده يغلق المجلة عن المناخ الادبي المعاصر حولها ، ويستقل بها عن الزمن الذي حوله ، عائدا الى عصره المفضل . وهكذا نجد في العدد الاخير تسع قصائد من الشعر العمودي ! ولا قصيدة واحدة من الشعر الجديد ! فهل هذا انعكاس صادق للذوق الادبي حاليا في مصر ؟ ـ ان الشعراء التسعة الذين نشر لهم صالح جودت هم : صالح جودت (اول قصيدة بالعدد) ـ علي محمود طه ـ احمد رامي ـ ايليا ابو ماضي ـ د. ابراهيم ناجي ـ محمد الجيار ـ محمود العتريس ـ خيرالدين الزركلي ـ ابن الشاطىء . وقصيدة ابن الشاطىء (وهي منقولة عن « المجاهد » الجزائرية) هي الوحيدة التي لها علاقة بالزمن العربي الحالي . بقية القصائد تناجي القمر والليل بذلك الاسلوب الذي لا يطاق . هل حقا ما زال بيننا من يتذوق « شعرا » كهذا :

لم تبق ايد الحادثات ولم تذر فعلام تضحك في سمائك يا قمر ؟
أرايت تائهة على اترابها
فتانة بسفورها وحجابها
خلابة بدلالها وعتابها
غلابة بحديثها وخطابها
ذهب الزمان بمالها وشبابها
وتفردت بأنينها ومصابها

ناجتك شاكية تصاريف القدر وظللت تضحك في سمائك يا قمر.

هل هذا هو ما يبدعه الشاعر العربي المعاصر ؟ هل هذه المنظومات على صفحات الهلال هي الشعر الذي يتوهج حاليا فوق الارض العربية ؟ أم اننا امام تزوير متعمد لروح الشعر العربي المعاصر ؟ ان كان هناك من يتذوق تلك المنظومات فلنقدم منها اذن واحدة او اثنتين . ولكن لا يعقل ان يحمل العدد تسع قصائد من شكل شعري ومناخ شعري ليس له صدى في الواقع الادبي. ولا يعقل ان نقدم في مجلاتنا مثل هذا الهذر والمراهقة عن الاقمار والحسان بينما نصادر تماما اولئك الشعراء الحقيقيين الذين يكتبون في هموم امتهم الحقيقية ويحملون صليبها عاليا في معاناة عالية . لقد اصبح واضحا ان الشعر الجديد صار محرما على صفحات الهلال . وان قراء الشعر في العالم العربي قد خسروا مجالا هاما من المجالات القليلة التي كانت تنشر الشعر . وذلك ان صالح جودت لا يعترف بذلك الشعر ولا يتذوقه ولن يسمح لاي انسان اخر كائنا من كان بأن يتذوقه . لان صالح جودت هو حامي حمى الشعر الاصيل والوصي على الجمهور الادبي ينشر له ما يراه صالحا ويحجب عنه ما يراه طالحا .

ان صالح جودت ما زال لا يعترف بصلاح عبدالصبور ، ولا يقرأ له . رغم ان صلاح قد صار كلاسيكية راسخة في مصر . وجاء بعده جيل ثان من الشعراء يحاولون دفع الشعر الى مرحلة تالية لمرحلة صلاح . وما يزال صالح جودت واقفا عند شوقي والعقاد .

اننا ـ كقراء ـ لا يهمنا ان يقرأ جودت لعبدالصبور ، لكنه يهمنا جدا ان ينشر جودت ـ كرئيس تحرير اهم مجلة ادبية في مصر ـ لعبدالصبور ، اهم شاعر معاصر في مصر . من حقنا كقراء ان نطلب تحقيق هذه البديهة . حتى عندما كان يرأس تحرير الهلال كتاب معروفون بتأييدهم الكامل والايجابي للشعر الجديد ، ـ مثل محمود امين العالم ورجاء النقاش ـ لم يكن الشعر العمودي محرما، فقد نشر النقاش لمحمود حسن اسماعيل مثلا . كما كان صالح جودت نفسه ينشر في الهلال والنقاش رئيس تحريرها . وفي الآداب مثلا قرأنا في عدد سابق قصيدة عمودية لمحمد عصفور ودفاعا من الشاعر عن الشعر التقليدي . لم يحدث ان احتكر رئيس التحرير مجلة لتوافق مزاجه الفني وذوقه الخاص كما يفعل جودت في الهلال . وبالطبع بجانب الهلال تتداعى بقية الهلاليات لتصبح وقفا خاصا بصالح جودت . فكتاب الهلال ايضا ـ عدد ديسمبر نفسه ـ هو كتاب لصالح جودت بعنوان « شعراء المجون » يقول الاعلان عنه انه « قصة عشرين شاعرا ضاحكا من الجاهلية الى اليوم » وهكذا تتقدم «الهلال» وتتطور فنيا وابداعيا . فبعد ان كانت تقدم في عهد النقاش اشعار محمود درويش ويقدم كتاب الهلال دراسة عنه ، صارت الان تنشر اشعار الراحلين في القمر وتقدم دراسات عن شعراء المجون .

ويتوج عدد الهلال الاخير عن القمر قصيدة هامة لصالح جودت بعنوان « القمر الاسمر » يقول في مقدمة لها .« كانت مع الشاعر سمراؤه يوم انطلاق القمر الروسي الاول . فراح يرقبه في السماء. ففارت السمراء من القمر الاحمر » . ثم تبدأ القصيدة :

رأتني اطل لافق السماء وارنو الى القمر الاحمر
فقالت : اينسيك هذا الجديد جنونك بالقمر الاسمر ؟
فقلت : معاذ الهوى ان تغاري معاذ السنا المشرق النيّر !
وما قده في حساب الجمال بألطف من قدك السمهري
وما وهجه وشعاعاته بأخطف من طرفك الأحور
وما ناره وصواريخه بأحرق من صدرك المثمر !
تغارين منه ، ولو غار منك لكان من الاخلق الاجدر.

* * *

هذا جزء من القصيدة الهامة . وهي هامة لانها تثبت ان صالح جودت نفسه هو استمرار لشعراء المجون الذين يكتب عنهم . اننا الى هذه المراهقة والسخف نسلم مجلة الهلال ونسلم معها مستقبل الذوق الادبي في مصر وخاصة ذوق الاجيال التي تتفتح الان على الشعر والادب ولا تجد سوى هذا اللهو والعبث السمج يقدم باسم الشعر والادب .

ويختتم صالح جودت عدد الهلال بكلمة بعنوان « كيف نفرض لغتنا على العالم » يذكر فيها ان جواز السفر الليبي هو الوحيد في العالم العربي ، المكتوب باللغة العربية وحدها دون اية لغة اجنبية اخرى . ثم يقول تعليقا على ذلك :« لو حذت جميع الدول العربية هذا الحذو ، فان اللغة العربية تستطيع ان تفرض وجودها من جديد على كل ركن من اركان الوجود ». وهكذا يتوقع الكاتب العربي رئيس تحرير الهلال ان يفرض اللغة العربية على العالم عن طريق محو اللغات الاخرى من جوازات السفر العربية ! هل يجب ان يضحكنا هذا ام هو يجب ان يبكينا الى الابد ؟ لست واثقا تماما . لكنني لا ادري لماذا تريد ان تفرض لغتك على العالم يا سيدي وكل ما يمكنك ان تكتبه بها امام حدث مذهل كانطلاق الصاروخ الروسي هو تلك المنظومة الصبيانية التي تغار فيها

سمراؤك منه ؟ قبل ان تهتم يا سيدي بفرض لغتك على العالم كان يجب بان تقول بها شيئا له معنى . عندما تقول شيئا له معنى بلغتك. فان العالم سينصت لك من حاله . دون أن تحتاج ان تفرض عليه شيئا .

لماذا تموت مجلة الهلال ؟ هل لدينا مبرر ملح محتم يجعلنا نغتال مجلة كانت ـ خاصة قبل اغتيالها مباشرة ـ تقدم حرارة الابداع ، التساب المصري ممثلا في تلك المجموعة من الادباء والشعراء الشبان الذين يمثلون الطليعة الفنية والثقافية الصاعدة في مصر ؟ هل هو من ضروريات التقدم الحضاري ، الذي تكافح امتنا العربية في محاولات اللحاق به ، ان نعود بالادب في مصر الى عهد شوقي لانه امير الشعراء ، وطه حسين لانه عميد الادب العربي ؟

ولماذا ماتت ، قبل الهلال ، معظم المجلات الادبية والفنية الاخرى في مصر ؟ (الشعر ـ القصة ـ المسرح ـ الثقافة ـ الرسالة ـ الفكر المعاصر ـ مجلة ٦٨ .. وغيرها ..) حتى اصبح المناخ الادبي الحالي في مصر من اشد حالات تاريخه محاصرة واخراسا وركودا وخواء ..

هل لدينا موهبة القضاء على كل ما يحاول النهوض بنا الى ابعاد ومسافات اوسع واعظم واكثر ابداعا وصدقا وحرية ؟ وهل سنظل الى الابد نتوج ونهب انفسنا للذين يريدون الهجرة بنا دائما الى الماضي والوراء والليل ؟ هل نحن جادون ـ ام هو مجرد مونولوج فكاهي في حفلة السمر ـ في دعوتنا للنهوض والتقدم والعصرية ..؟ ما دام واضحا اننا نجتهد ، عمليا ، في اعادة الادب والشعر والذوق الفني في مصر الى الوراء فلماذا نعلن عكس ذلك في شعاراتنا التقدمية ؟ لماذا لا نكون صادقين وواضحين فنعلن ان همنا الاول وهدفنا الاساسي هو التقدم الى الخلف . والعودة الى الوراء للاحتماء في المجد الماضي ودفء التراث . لماذا لا نعلن ان شهوتنا العظمى هي تكريس الماضي والدعوة اليه والتبشير به ... واننا شعب تمنعه تقاليده الاجتماعية والحضارية والدينية والفكرية من الانفتاح والتغير والتجدد ! اننا اذا فعلنا ذلك فستكون لنا على الاقل فضيلة الصدق .

ان الهزل لن يجدي ونحن ببساطة نتدهور ونزداد موتا . ويزداد واقعنا انتماء في كل يوم الى الخرافة . وتحدث الاشياء بلا منطق معقول وخارج أنوعي بعلاقة السبب ـ النتيجة ، وكأن ما يحدث لنا ليست له اسباب لدينا انما هو قضاء وقدر وكوارث تقع من السماء .

ورغم موت المجلات الادبية ، وموت الحركة الادبية في مصر.. فالادباء يبدون وكأن الامر لا يخصهم . كأن احدا آخر عليه ان يتصرف ويتدخل ويفعل شيئا لاحياء الحركة الادبية ، كأنها مسئولية الاخرين وليست مسئوليتهم الاساسية الاولى ، حتى قبل مسئولية الكتابة والقراء . ويعبر صلاح عبدالصبور عن ازمة انعزال الكاتب في مصر في ديوانه الاخير « شجر الليل » بقوله : لا شيء يعنيك .. لا شيء يعنيك .. لا شيء يعنيك .. وتموت الهلال .. والموت من عند الله وحده ..

والبقاء لله وحده .

نيويورك

فرانسوا باسيلي

صدر حديثا ...

معجم موسوعي للجميع

لاروس

المعجم العربي الحديث

٥٣٥٠٠ كلمة معرّفة ٣٥٢٥ رسما ١٦ صفحة فيه ملوّنة

تأليف الدكتور خليل الجر

الاستاذ في الجامعة اللبنانية وفي معهد الآداب الشرقية

أسهم في تحرير القسم اللغوي منه

محمد خليل الباشا و هاني ابومصلح

أعاد النظر فيه محمد الشايب

مُبرّز في العربية

مكتبة لاروس

١٧ شارع مونبارناس ـ باريس (٦)

السعر ٢٦ ل.ل

الموزع : مكتبة انطوان ـ بيروت

وتجدونه في جميع المكتبات